Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن كان البر شيمته، والتواضع شرعته، والتحقيق بغيته، فإنه لا يطمح إلى اشتهار قبل أوانه، ولم يؤثر عن ابن هشام أنه تعجّل شيئًا قبل أوانه، ولم يقلِ أحد فيه ما قد قيل لأبى الفتح بن جنى: «ذيت قبل أن تحصرم» (١) حينما مر عليه شيخه فيما بعد «أبو على الفارسى» ورآه متصدرًا للدراسة وهو يافع وسأله فى الصرف فلم يحر جوابا!

على أن أبا الفتح لما بلغ أشده، واستوى وآتاه الله ما آتاه، وعلمه ما علمه، ما كان ليُسَفِّه رأيًا لأبى علىّ الفارسىّ، وإنما يسوق آراءه فى مقام الاستدلال بأدب وإجلال.

والذى أراه وقد طالعت ترجمة أبى حيان وتراجم تلاميذه، أنه رأى صنيع الله بابن هشام، وما أصفاه به من مواهب، ولم يشهد له ولم يشد به على حين أنه ـ كما جاء فى ترجمته ـ كان عنده تعظيم للطلبة الأذكياء، وله إقبال عليهم، وأثر عنه أنه كان يفخر بالبخل كما يفخر الناس بالكرم.

ومن تلاميذه الذين ظفروا بتقديره، وانتزعوا منه الإعجاب، العلامة ابن عقيل إذ كان سخيًا متلافًا، يعرف من أين تؤكل الكتف، فكان أبو حيان يطريه، ويقول فيه: «ابن عقيل أسخى النحويين» وهذه شهادة لا تحفظ ابن هشام، ولكن الذى لا يحتمل أن يبالغ الرجل، فيقول: «ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل» (٢)! أفترى هذا القول مقبولاً منه، أم مردودًا عليه، ورادًا لشهادته، وداعيًا إلى القيل والقال فى حقه، على فضله، وقديمًا قيل:

ومن دعا الناس إلى ذمّه
ذمّوه بالحق وبالباطل

ولكن حاش لله أن يكون ابن هشام قد ذمه، أو نفس عليه وبخسه علمه، ولكّن أبا حيان ألّفَ ومن ألّفَ فقد استهدف، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وابن هشام لم يطب له المقام بين يدى أبى حيان وفى حلقته بعد أن سمع منه ديوان زهير، وأجمع المؤرخون على أنه لم يلازمه ولا قرأ عليه غيره.

ثم أعرنى سمعك وأصغ إلى قلبك، وخبرنى عن مغزى قول أبى حيان:

---

(١) بغية الوعاة ص ٢٢٣.

(٢) البدر الطالع ص ٢ : ٢٦٧.